

استعادة الأندلس.. إجماع العقل السلفي الإسلامي والعلماني

ربط الأندلس بالبحر الفلسطيني يوفر للعدو سلاحا أخلاقيا يجادل به



بكاء على فلسطين

واليوم يأتي من إسبانيا صوت رصين، يجسده المستعرب بدرو مارتينث مونتانيث الذي يدافع عن قضية فلسطين "لأنني أدافع عن الحرية... والكفاح في سبيل فلسطين بالنسبة لي هو كفاح في سبيل الحرية والكرامة الإنسانية، ومن وجوه عدة يمثل وضع الفلسطينيين أقصى حالات الاعتداء على الحرية والكرامة".

وفي سيرته التي كتبتها الدكتورة أثير محمد علي، وصدرت في القاهرة بعنوان "فيسيفساء لذاكرة حاضرة.. حوار المستعرب الإسباني بدرو مارتينث مونتانيث"، يقول "لا يمكن تفسير إسبانيا من دون الأندلس"، ويدعو إلى تجاوز الجراح المشتركة، فالأندلس "تاريخ مشترك يتقاسمه الإسبان والعرب... محاولة الوصول إلى تفاهم واقعي ومحترم ومخلص ويتوافق مع ما كان في التاريخ، يجب أن تنزاح بعيدا عن كل نغمة سياسية". وفي هذا الصوت العاقل فصل المقال، وختامه.

إن تسلبه نسبه ووجوده القومي، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط... إن فرنسا تقدم لكم بهما الآن حاملة إرث إسرائيل... إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به، ويمشي بالنصر أمامه وبالعدل وراءه، قد اختار القدس مقرا لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي استهانت طويلا بمدينة داود وأذلتها. يا وربة فلسطين الشرعيين... إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها، تدعوك إلى إرثكم بضعمانها وتأييدها ضد كل الخلاء".

لو وعى الجواهري هذا الخلط ما قال عام 1929 في قصيدة "فلسطين الدائمة": فاضت جروح فلسطين مذكرة/ جرحا بانديس لأن ما التأمأ وما يقصر عن حزن به جده/ حزن تجده الذكرى إذا قدما يا أمة غرّها الإقبال ناسية/ أن الزمان طوى من قلبها أمّا سيكحون فلسطينا بانديس/ ويعطفون عليها البيت والحرا

للجيش أو قائده، لإنزاله، ولكي "يستمتع بهن كما يستمتع بزوجاته.. الآيات القرآنية ما زالت موجودة ليس للتفعيل ولكن للتنفيذ إذا حصلت شروط الإسلام في هؤلاء". ولم تعتر عن هذا التصريح، ولم تجب عن سؤال افتراسي إذا انعكست الأوضاع ووقعت المسلمات أسيرات لدى العدو؟

أراهن على لحظة إلهام تنير بصائر رموز الأديان التي مارست غزوا، فينتفون على وثيقة اعتذار تبرئ الأديان من الهوس السياسي بثروات الآخرين، من دون أعباء نفسية على جيل حالي لا يتحمل أوزار الأصفار. ساعتهما لن يقرن الشعر الأندلس بالبحر الفلسطيني، ولن يلحموا باستعادتها؛ بحجة أن لأجدانها فيها تاريخا، فمن غير قصد يعطون العدو الإسرائيلي سلاحا أخلاقيا يجادل به، ويشهر وجودا عابرا لأسلاف أيقظهم نابليون بونابرت وهو يخاطب أحفادهم بالنفير إلى فلسطين "إنها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان

الأندلس وأخرى في الصين، "لأنهم وضعوا أيديهم على مواطن القوة في هذا التراث". هذا خطاب يمنح الدين ظل الدعاة لبعونهم في خطبة الجمعة، باعتبارهم من المغضوب عليهم، شرعية وضع قدم شرقي الأطلسي في الساحل الأفريقي وأخرى عربي المحيط بفضل التراث المسيحي أيضا.

ويرتبط بعقلية الغزو تراث بشري سما به البعض إلى مرتبة القداسة، وهو فقه الغزو، والرزق تحت ظلال الرماح، واستباحة الإغارة، والسبي وبيع الرقيق لإنعاش الاقتصاد في العالم الإسلامي، كما يدعي أبو إسحق الحويني. وإذا كان الحويني هاويا، خارج قواعد المناهج البحثية، فكيف نفهم تصريحاته تلفزيونيا استنسخته استاذة الفقه المقارن بجامعة الأزهر من أضايرير الفقه المكتوب في ضوء الصعود السياسي للدولة الإسلامية، ونقلته إلى سياق جديد جزمه؟ قالت الدكتورة سعد صالح إن أسيرات الحرب ملك يمين "مشروع"،

في بنية العقل العربي علمانيون مسيحيون، لا هم إلا الطعن في الإسلام ورسوله، وهم معصومون من الوقوع في فخ الحنين المريض إلى فردوس الأندلس المفقود الذي يتفق العقل السلفي، إسلاميا كان أم علمانيا، على البكاء عليه. ويوما ما سنتتهي الظاهرة الصهيونية، ومعها الكيان الإسرائيلي المزروع كقاعدة عسكرية في الجغرافيا العربية، وسيوضح أن نصيب فلسطين المستعادة يساوي تقريبا قصائد البكاء على الأندلس، تلك الجنة المنزورة لجلد الذات في العقل السلفي، تحت القبة أو العمارة.

1959 في جيشه قائلاً "إننا نعيش تمردا دام خمس سنوات، وخسارتنا للجزائر كارثة لنا وللدول الأوروبية". وما كان ليخرج إلا بعنف مقدس شاركت فيه الملايين، وانتصرت ثورة الملايين ونصف المليون شهيد.

لم تعتر فرنسا عن فظائعها في الجزائر بداية من مجازر 1945، ولم يعترف الإسبان والبرتغاليون عن جرائمهم تحت ظلال الكتاب المقدس في بلاد سميت بالإميركتين، أبادوا فيها شعوبا مسالمة سميت اليهود الحمر. ومن المفارقة أن المسيحية، انتشرت بتناقل تعاليم السيد المسيح، وسريان الأشواق إلى العدل والحرية من بلد إلى آخر. ومع تحول أي دين إلى مؤسسة يستباح كل شيء باسم الدين، وتشاء حكمة التاريخ أن الحروب الوحيدة المقترنة برمز ديني هي الحروب "الصلبية".

لا يحتاج دين إلى نشر تعاليمه بقوة السلاح. وقد وجدت دعوة الإسلام سبيلها بالحسن إلى أقصى الشرق وإلى أعماق أفريقيا. ولا أظن شعبا دعا المسلمين إلى تخليصهم من قوة استعمارية، ولم يزعم أحد أن الأسلحة الهجومية التي حملت جيوش المسلمين إلى الشرق والغرب من وسائل الدعوة إلى سبيل الله "بالحكمة والموعظة الحسنة". وهكذا يكون احتلال بلد ما، وإجبار مواطنيه على دفع الجزية أو اعتناق دين الغازي، إكراهها سياسيا تلجا إليه القوى الصاعدة، في بحثها عن موارد اقتصادية خارج حدودها. وإذا صادف أن احتل الغازي بلدا مسلما، كما جرى مع السلطان الدامي سليم الأول، فلن يتحاما بإعادة أسلمة المسلمين، وإنما يفرض عليهم الجزية التي التزمت مصر بآثارها سنويا إلى الباب العالي.

سلوك الغزو سياق "تاريخي"، ولم يتبدع المسلمون الحروب الهجومية التي يليها البقاء. ليس هذا مسوغا، وإنما هو تفسير موضوعي يعطينا من الاعتذار، ويكبح عن المهزومين شهوة الفخر الكاذب. ولم يكن الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر موقفا في زهوه، في "مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي" نهاية يناير 2020، بوضع المسلمين الأوائل قدما في

سعد القرشي
روائي مصري

ظل المسلمون في الأندلس ثمانية قرون (700 - 1492 ميلادية)، أبدعوا حضارة إنسانية تستند إلى بناء عقلي، وتطوير علوم اجتماعية وطبيعية، وتركوا تراثا أدبيا وفلسفيا ومعماريا شاهدا على المراحل التقليدية لنشوء الدول وارتقائها وازدهارها. ولكن هذا الإضمحلال، على الضفة الأخرى، يسمي تحريرها واستعادة لأرض احتلتها المسلمون، ورأى أهلها ضرورة الخلاص، وكانت الإنسان باهظة، والانتقام غير مسبوق بتطهير عرقي وديني، واستئصال للسان العربي، والتلصص على إقامة الشعائر.

أراهن على لحظة إلهام تنير بصائر رموز الأديان التي مارست غزوا، فينتفون على وثيقة اعتذار تبرئ الأديان من الهوس بثروات الآخرين

ومنذ عام 1492 لم يضع العقل العربي نفسه مكان الطرف الآخر، ويواجه نفسه بالحقيقة، ويناقش لحظة "الدخول"، لا اسمها غزوا أو فتحا، فلا يتفق الطرفان على المصطلح، وإن اتفقا على واقعة عبور جيش أجنبي لضيق حمل اسم جبل طارق. وترتب على امتلاك القوة تغيير شامل، ثقافي وديني وسياسي واجتماعي. ثم كان الخروج متوقعا، وذلك من طبائع الأمور، فلم يشهد التاريخ بقاء أديان لعصر دخيل يحتمي جيش، أو هو نفسه الجيش، إلا إذا انصهرت عناصره باهل البلاد، ولم تظل مجرد طبقة تتسلل بالعزلة عن الشعب، وتملك وتحكم. وأحيانا توهم القوة بطرفة في صبرورة التاريخ أو خللته لقوانينه، كما جرى لهستيريا الاستعمار الفرنسي للجزائر، إذ ظل الجنرال شارل ديغول ينكر الثورة الجزائرية ويؤكد أنه يدافع عن الشرف الأوروبي. خطب ديغول عام

المغرب.. إمارة المؤمنين والإسلام السياسي

والسياسية تثبت دائما عدم وجود فوارق أو اختلافات بين التيارات التي ارتضت الديمقراطية منهجا، وبين تلك التي أبت الانصياع للمسار السلسلي الديمقراطي، وقد اختبر الشارع العربي الإسلامي في السنوات الأخيرة هذا التماهي في قضايا الهوية والمساواة والحرية الدينية.

إدخال إمارة المؤمنين ضمن خانة الإسلام السياسي، أنزل مؤسسة إمارة المؤمنين إلى منزلة المتأجرين بالدين

النقاش السياسي الذي اندلع في المغرب على خلفية اعتبار عبداللطيف وهي إمارة المؤمنين إسلاما سياسيا، وهو نقاش صحي للمعنى السياسي والفكري للكلمة، لكنه كان فرصة لتبديد الالتباس الحاصل بين مفهوم قانوني ودستوري، وآخر ديني وسياسي. وليس مهما التركيز على الدواعي التي جعلت عبداللطيف وهي يطلق تصريحه الذي أثار جدلا واسعا، ولا يزال، لكن الأهم هو أن هذا الجدل كان فرصة لتلمس الفوارق الفاصلة بين المفهومين، ولم يفعل وهي سوى أنه حاول هدمها بما أثار انتباه الإسلاميين في المغرب.

اختلاف آخر كبير بين الإسلام السياسي، بما في ذلك تفرعاته وتياراته في المغرب، وبين مؤسسة إمارة المؤمنين في المغرب، قوامه أن كل تيارات الإسلام السياسي (حتى وإن أعلنت عكس ذلك أو انخرطت في مسار سياسي مدني وديمقراطي) تسبق انتماءها العقائدي على انتماءها للدولة، وتعتبر أن الولاء للجماعة أهم وأسبق من الانتماء الوطني. وهي قناعات إسلامية مستمدة من المناهل الفكرية والأيدولوجية التي تستمد منها أديانها، سواء كانت من الإخوان المسلمين أو من التيارات السلفية أو التحرير فضلا بالطبع عن التيارات المتطرفة الأخرى من قبيل القاعدة وداعش.

تتحرك تيارات الإسلام السياسي من خارج الدولة، بل تحاول تقويضها بطرق شتى، من التمكين والاختراق وصولا إلى استهدافها بالعنف والإرهاب، وقد بينت وقائع التاريخ المعاصر أن حركات الإسلام السياسي استعملت اليات انقلابية أو عنيفة للوصول إلى الحكم، لكن مع إكراهات الواقع السياسي والتيقن من عدم نجاعة الوسائل الانقلابية في الوصول إلى السلطة، تحولت بعض هذه الحركات بالتدريج إلى حركات سياسية تشارك في الانتخابات وتسلم بمقتضيات الديمقراطية، مع بقاء الكثير من التيارات الإسلامية المتطرفة خارج هذا المدار. والملاحظ هنا أن الكثير من الاختبارات والمحطات الفكرية

والدستورية أكثر مما يحملها من حمولات دينية. جدير بالذكر أن مصطلح الملكية التنفيذية يستمد مشروعته من المرجعية الدستورية التي خلفها نظام حكم الملك الراحل الحسن الثاني بإصدار أول دستور للبلاد في 1962، والذي كرس المؤسسة الملكية وعدم تقييد سلطات الملك وصلاحياته. وكان وضع أول دستور للمغرب بعد الاستقلال يهدف إلى تمكين المؤسسة الملكية من أدوات عصرية تحل محل أو تعضد تلك التقليدية، بإضافة التشريعية الدستورية على مشروعيتها الدينية والتاريخية لتمكينها من بسط سيطرتها وإدامة واستقرار نظامها.



الإسلاميون يتلحفون بالدين من أجل غنائم سياسية

بوصفها مؤسسة سياسية تعتمد على الدستور وتمارس صلاحياتها السياسية بناء على قواعد سياسية واضحة وحديثة. تضافرت عوامل تاريخية كثيرة للوصول إلى الشكل السياسي الراهن لـ"إمارة المؤمنين" في المغرب، وهو نظام سياسي يقوم على الملكية التنفيذية، التي تستمد مشروعيتها من مصادر كثيرة؛ تاريخية وسياسية ودينية. إلا أن المصدر الديني للمشروعية لا يجب عنها صفات المدنية وهو ما يعدها عن الاختلاف أو حتى التناقض مع حركات الإسلام السياسي. إمارة المؤمنين مصطلح يكتظ بالحمولة السياسية

جدل سياسي انطلق في المغرب، حول المسافات الفاصلة بين الإسلام السياسي وإمارة المؤمنين، على خلفية تصريح لعبد اللطيف وهي، القيادي في حزب الأصالة والمعاصرة، اعتبر فيه أن الخطاب السياسي الإسلامي جزء من المشهد المغربي. تصريح تلقفه الإسلاميون بفرح مضمحل ولأقن نقدا متعدد الوجهات، لكنه مثل قاذبا مهما طرح أسئلة فكرية وسياسية حول إمارة المؤمنين في المغرب ومدى اختلافها عن الإسلام السياسي.

يتخذهم عبداللطيف وهي أولياء له من قوى الإسلام السياسي". وعزز بنشماش تصوره بان "إدخال إمارة المؤمنين ضمن خانة الإسلام السياسي، أنزل مؤسسة إمارة المؤمنين إلى منزلة المتأجرين بالدين بحثا عن غنائم انتخابية، وهو ما يشكل علامة دامغة على جهل مطبق بمقومات النظام الدستوري وتخبسا في منتهى السماجة مؤسسة إمارة المؤمنين وصلاحياتها الدستورية".

وبصرف النظر عن الخلافات الداخلية التي أثارها التصريح، والتي وصلت حد الحديث عن تضالوظظ وهي في الوصول للأمانة العامة للحزب، فإن الخطير في التصريح أنه تجاوز بإشارات في الندوة نفسها، تذهب نفس المذهب في ما عده البعض "مغازلة" للإسلاميين، حين أشار إلى أن حزبه لم تعد تجمع عداوة بحزب العدالة والتنمية. في عمق الفكرة التي أثارها تصريح وهي، بون شاسع يفصل بين الإسلام السياسي بوصفه خطبا سياسيا يتكئ على الدين ويوظفه خدمة لغايات سياسية، وبين إمارة المؤمنين في المغرب

عبدالجليل معالي
كاتب وصحافي تونسي

أثير التشبيه بين الإسلام السياسي وإمارة المؤمنين في المغرب، خلال ندوة صحافية انتظمت، الخميس 23 يناير الماضي، أعلن فيها عبداللطيف وهي ترشحه لمنصب الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة. قال وهي خلال الندوة إن "الخطاب السياسي الإسلامي هو جزء من المشهد المغربي، ليست إمارة المؤمنين إسلاما سياسيا، وكذا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية". هذا الجزء من تصريحات وهي أعلن بدء نقاش فكري وسياسي في المغرب. تصريح وهي أثار استهجانا ونقاشا داخل حزبه، الأصالة والمعاصرة الذي تأسس في العام 2008 من قبل فؤاد عالي الهمة، ومن ذلك أن الأمين العام للحزب، حكيم بنشماش الذي رأى في تصريح وهي "مدلولات خطيرة قد تترتب عنها استنتاجات تتحول بموجبها إمارة المؤمنين إلى خصم سياسي، وإن هذا القول القبيح، لا يخدم إلا مرامي من